



الحاكم لم تُعد لديه القدرة ولا الإرادة لحل مشكلات الشعب». كما يتبنى مفهوم كارل بوبر حول أن طريق الثورات ينفذ عندما توصل كل سبب التطوير. ثم يعود إلى «تولستوي» ليعرض منظوره في إحساس الشعوب بالسعادة التي رآها عزيزة المنال، ومع ذلك فقد رأى في الحد من رغبات الناس وتطلعاتهم، والحد من تكوينهم وجمعهم للثروات طريقاً ما نحو السعادة.

ومع التسليم بأن المؤلف قد كتب هذا الكتاب لأجل المنتفضين ضد الرئيسة الكورية باك كون هيه فهو يؤكد على مسألة مهمة جداً، ألا وهي ضرورة أن تعي الشعوب وقت الثورة أنه عليها أن تعمل بدأب وجداً خالصين دون ملل أو كلل. وعند هذا الحد يأخذ الحديث بعداً نفسياً بعد أن اتجه وجهة فلسفية على مدار الكتاب، فيرى أن الإنسان محافظ بطبعه، وأنه يجد صعوبة حقيقية في القيام بشيء جديد ومختلف، لكنه مع كل ذلك يتوق للجديد وينتظره ويبحث عنه وبخاصة في العقود الراهنة. وهنا يختم الكتاب بمقولات لمفكرين وكتاب كوريين من قبيل: التطوير هو السبيل الوحيد للتغلب على الرأسمالية» لـ «كيم سانغ بونغ»، «السبيل لاتساع رقعة الحرية الإنسانية» لـ «إي نام جوك». ثم يختم تلك المقولات بوجهة نظر مهمة لأرسطو ترى أن الغرض من تكوين أو تكون الأمة هو العدالة. بعد ذلك تنتهي رحلة الكتاب مع المعنى أو المفهوم الأخلاقي للأمة. ثم لماذا وكيف حدث الانتقال من الإنسان الأخلاقي إلى المجتمع اللاأخلاقي؟ وهذا يحتم ضرورة الوعي بالفرق بين الأفراد في استقلاليتهم وبينهم عندما يدخلون في جماعات تحتم ضرورة وجود العدالة التي لا تقمع التفرد الذاتي بقدر ما تقنن وتضبط التنافس بين الأفراد لتظل في الدائرة التي تخدم تلك الجماعة، ولهذا ينبغي على الساسة بلا استثناء أن يمارسوا أعمالهم في إطار من الأفعال التي تتسم بالأخلاق مهما كانت الظروف.

عنوان الكتاب: ما الوطن؟

المؤلف: يو شي مين

دار النشر: دول بيجيه

تاريخ النشر: يناير 2017م

عدد الصفحات: 334 صفحة

اللغة: الكورية

* (مدرس الأدب الحديث والمقارن، كلية الآداب- جامعة القاهرة)



طرحه المؤلف مباشرة هو: هل حب الوطن نبلٌ أو مدعاة للفخر؟ وفي معرض الإجابة عنه يرى أن لحب الوطن جانبين، فزي الوقت الذي يرى فيه المناضلون المحبون لأوطانهم نماذج مشرفة نبيلة، قد تراهم أوطان أو بلدان أخرى تتعارض مصالحها معهم نماذج مخربة وهدامة. فـ «آن جونج جون» الذي قتل أحد الجنرالات اليابانيين حباً في بلده ورغبة في تحريرها من الاحتلال الياباني، قد قتله اليابانيون بعد ذلك. إنه نموذج للمناضل المحب لبلده عند الكوريين، ولكنه مجرم وراهب عند اليابانيين. وبينما رأى «فيتشه» النضال وحب الجماعة أمراً ضرورياً ومحموداً، رأى فيه تولستوي الشر كله.

ثم في انتقاله مهمة نحو وضع الناس أو الشعب في الصدارة يتوقف مع «جوزيف إرنست رينان» الذي رأى رفض الإثنية والقومية ورأى أن الأهم هو أن يتمتع الناس بالإرادة. فالإثنية والقومية لا تتبع من استخدام الناس اللغة نفسها وإنما من رغبتهم في العيش في المجتمع أو الجماعة ذاتها، وبالتالي فليس النضال وحب الوطن إقصاءً أو عصبية تجاه الشعوب الأخرى، إنه حبٌ وولاءٌ مُتبادل بين أفراد الشعب الواحد تجاه بعضهم بعضاً وتجاه وطنهم. ويستمر المؤلف في متابعة آراء ماركس حول الطبقة العاملة التي ستثور على الرأسمالية وتهدمها ليتأمل فكرة «الثورة» في حد ذاتها وما الذي يقود الشعوب إليها في الفترات والظروف التاريخية المختلفة. يركز المؤلف هنا إلى تفسير يراه جامعاً تقريباً ومفسراً لقيام الثورات وهو «شعور الشعب أن الدولة أو النظام

وتحت عنوان «بالقانون؛ القواعد الصارمة للتشريعات القانونية» يرى المؤلف أنه مع تتابع الأجيال الجديدة، من الطبيعي والمألوف أن تتغير النظريات والآيدولوجيات، وعلى حد تعبير ميكافيلي الشهير فإن ألد الأعداء وأشدّها خطورة على الاستبداد هو الحرية. وفي هذا السياق بدأت تظهر الجمهوريات والديكتاتوريات التي تحدّ من الاستبداد والنظم الديكتاتورية القمعية. عند هذا الحد ارتأى المؤلف أن يعرض لنظريات ثلاث حول «الحرية ستقود الشعوب حتماً نحو الثراء» لـ «سميث»، و«الحكومة والأمة ليسا شيئاً واحداً» لجان جاك روسو، و«مهما يحدث فلا يمكن سلب الحريات» لـ جون ستيوارت ميل.

بعد ذلك يتتبع المؤلف عدداً كبيراً جداً من الآراء والنظريات السياسية والاجتماعية والفلسفية حول الأمة والمواطنة والوطن والحكومات والحرريات وغيرها من المفاهيم ذات الصلة بموضوع كتابه، وبما يكشف عن وعي عميق جداً بما يتصل بفكرته الأساسية من عناصر تستوجب الإشارة إليها وتناولها بمنهجية واضحة. فيعرض لمقولات «ديفيد هنري» بشأن الحكومة المثالية وعلاقتها بالقوانين ليرى أن الحكومة المثالية تسنّ أو تلجأ لعدد محدود من التشريعات والقوانين. وتحت عنوان «الطبقة العاملة أو البروليتاريا ليس لها موطن» راح يستعرض آراء ماركس حول ما يجب على الأمة أن تقوم به كأداة توظفها الفئة الحاكمة لا كجماعة تمنح أفرادها الحرية والسلام ليقوم كل منهم بما يرغب فيه بمعزل عن الآخرين. ويستفيض المؤلف في شرح وجهات نظر ماركس ذات الصلة واصلاً إلى نتيجة مؤداها إنه إذا كانت الماركسية قد توارت إلى الظل منذ عقود فإن الرغبات والمحاولات لتطويرها لم تخفت إلى يومنا هذا.

من الذي من حقه أن يحكم؟ مع هذا العنوان العريض يتأمل المؤلف وجهة نظر أفلاطون بشأن أحقية الفيلسوف في الحكم، ومقولات الحكيم الكونفوشي الصيني «منسيوس» عن ضرورة أن يحكم أصحاب الفضائل، وأن العدالة موجودة لأجل من بيده السلطة لا غير عند «فراسيماخوس». فما جدوى الديمقراطية وسط كل هذه الآراء في نهاية الأمر؟ يجب المؤلف عن هذا التساؤل الذي لم يطرحه بقوله إن أحد أهداف الديمقراطية بالغة الأهمية هو أنها قادرة على كبح جماح أكثر الناس شراً لو حدث ووصل إلى سدة الحكم. لكن السؤال الذي





ما الوطن؟ ليو شي مين

محمود عبد الغفار *

يستهل الكتاب رحلته الممتعة في العرض بشكل تشويقي يقوم على توجيه بعض الأسئلة إلى القراء مثل؛ وطنك كوريا، كيف هو الآن؟ إننا دائماً نتساءل عن الأمة ثم نتخيل البلد أو الوطن. فما نوعية المواطن الذي يدعو إلى الفخر؟ أعلينا- نحن الكوريين- أن نفخر بسيادتنا واستقلالنا وتمتعنا ببلد ديمقراطي؟ هنا علينا أن ندرك أن القائد العظيم لن يستطيع أن يقود بلداً نحو العدالة والحرية بمفرده، وبالتالي فكل المواطنين لهم دور معه. كما أن السيادة والاستقلال تعني أنه على المواطنين أن يدركوا واجباتهم ومسؤولياتهم في الوقت نفسه الذي يحرسون فيه على معرفة حقوقهم. وليس هناك مدخل نحو المواطنة الجيدة التي تدعو إلى الفخر أفضل من الترابط والتعاون الذي يفضي تلقائياً إلى بلد أو وطن متميز.

في الأساس وليس لأجل الناس أو المواطنين العاديين. ومن هذه الزاوية كان «الوطن» هو بالفعل ما وصفه «توماس هوبز» بأنه يستخدم العنف المقتن باعتباره حقاً مشروعاً في جميع الحالات. وفي هذا السياق من المهم التوقف أمام وصف توماس هوبز للحاكم المستبد والأمة المثالية. فالأمة المثالية أو الشعب المثالي هو الذي لا يقاوم أو يعارض حاكمه ولو كان مستبداً. هذا التصور يُعطي للحاكم حقوقاً مطلقة ليفعل ما يحلو له، ويحرم الشعب من القيام بأي شيء خارج عن إرادة الحاكم. فالأمام تولد وتظهر لحماية أفرادها، بينما يراها الحاكم المستبد موجودة لحماية وطاعته هو فحسب. بالطبع كانت تصورات توماس هوبز نابعة من عصره وما شهدته من فوضى واضطرابات سياسية. ثم يرى المؤلف «يو شي مين» أن بداية كوريا الجنوبية كانت مع الحرب بين شطري شبه الجزيرة الكورية، وهو تصور له علاقة ما بنظرية توماس هوبز بشكل عام. لكن البلدان أو الأوطان المتحضرة في القرن الحادي والعشرين قد رأت نظرية القوميات باعتبارها نظريات شمولية شديدة الخطورة. ولكن في كوريا الجنوبية، وباستثناء سنة عقب ثورة التاسع عشر من أبريل، وعشر سنوات عقب أزمة صندوق النقد الدولي، فباستثناء هاتين الفترتين، كان الحزب السياسي الأكبر في كوريا يتحرك في ضوء قناعة أو إيمان بنظرية القوميات الشمولية تلك، وقد دعمهم ثلث الشعب باستمرار، بما يُعبر عن اتفاقهم وقناعتهم بسياسة ذلك الحزب.

حصلها بعد أن ترك العمل السياسي ليتفرغ للكتابة. ففي هذا السياق له مؤلفات مهمة مثل «قراءة تاريخ العالم بشكل معكوس»، و «لأجل أن نتذكر كوانج جو»، و «الاقتصاد للأغنياء والفقراء»، و «التاريخ كما أتصوره»، و تحديث كوريا الجنوبية»، «قراءة الشباب». ظهرت الأمة الكورية مع كارثة «نام إل دانغ» في التاسع عشر من يناير عام ٢٠٠٩م- يشير إلى البناية التي وقعت فيها تلك الكارثة في يونغ سان- وتحت هذا العنوان العريض يذكر المؤلف بقصة أولئك الناس الذين رفضوا مغادرة المبنى الذي كان مقرراً أن يتم إعادة تحديته، حيث دخله في الظلام والبرد الشديد اثنان وثلاثون شخصاً ليمنعوا هدمه تحت ذريعة إعادة تحديته التي تبنتها الحكومة حتى أنها لجأت إلى العنف لإخراجهم، لكن أغلبهم لم يكن يرغب في المغادرة، فهذا مكان عملهم لسنوات، فضلاً عن أن التعويض المالي الذي عُرض عليهم لتترك المبنى لم يكن مناسباً ولا كافياً لبدء عمل جديد في مكان آخر، فضلاً عن أن تلك البناية كانت كل عالمهم بعد أن قضوا فيه سنوات طويلة. لكن الحكومة والشركات الكبرى مثل سامسونج وداريم وغيرهما قد عزمت بقوة على إخراجهم وإعادة تحديث المبنى وتحقق ما أرادوه على حساب الذين لقوا حتفهم بالمكان آنذاك. تلك الحادثة كانت مثل الصفحة التي استفاق معها الناس ليتأملوا حقيقة أن «الحكومة أو الوطن» لا تعمل لأجل الناس أو المواطنين بل تعمل ضد مصالحهم ورغباتهم. فلقد كان هدم المبنى لإعادة تحديته لصالح الشركات الكبرى

يتناول المؤلف هذا الموضوع من منظور خاص لشخص كان ممثلاً لأحد الأحزاب السياسية عام ٢٠١١م. فقد تناوله بالكتابة في ذلك الوقت ثم ارتأى أن يعيد تناول معنى الوطن أو البلد بعد عدة سنوات، وبعد ما مر به من خبرات في العمل السياسي وكذلك قربه من أحد أعظم الرؤساء الكوريين الجنوبيين في العصر الحديث وهو «نو مو هيون». ربما للأحداث الأخيرة التي بدأت مع الربع الأخير من العام الماضي في كوريا دور مهم في الكتابة ثانية عن الوطن والمواطنة عنده؛ فقد بدأت الأحداث مع اتهامات بالفساد طالت الرئيسة الكورية وأخذت في التصاعد حتى قضت المحكمة في مطلع الأسبوع الثاني من مارس ٢٠١٧م، بعزلها والدعوة لإجراء انتخابات رئاسية في غضون ستين يوماً. حتى أنه- المؤلف- قد صرح بأن هذا الكتاب لأجل أولئك الذين يحملون الشموع ويتظاهرون بشكل سلمي مُتحضر عند بوابة «كوانج هوا مون» التاريخية الشهيرة بوسط العاصمة سيول احتجاجاً على سياسات الرئيسة «باك كون هيه» مطالبين بتنحيها عن الحكم إلى أن قالت المحكمة الكلمة الفصل في شأنها قبل صدور الكتاب في طبعته الجديدة بشهرين تقريباً. كما أكد المؤلف كذلك أنه كتب ثانية في هذا الموضوع لأنه لم يتناوله هذه المرة من منظور رجل السياسة وإنما من منظور المواطن، ولهذا السبب يعرض للعديد والعديد من الآراء والمقولات لكبار الفلاسفة والمفكرين في العالم لتحديد أو تعريف الوطن والمواطنة. وقد أفاد كثيراً من المحاضرات التي ألقاها والمعرفة التي

